المرشد إلى الكتاب المقدس

(العدد الأول)

وصف عام للكتاب المقدس

إعداد

أسامة خليل أندراوس



WATER AND LIFE ● VIRGINIA ● UNITED STATES



Book Title: The Guide To The Holy Bible
Vol. 01
Author: Chris Howard Andrew
Usama Khalil Andrawes

اسم الكتاب: المرشد إلى الكتاب المقدَّس.

إعداد: أسامة خليل أندراوس

الإخراج الفني والخطوط: أسامة خليل أندراوس

الناشر: ماء وحياة ● ڤيرجينيا ● الولايات المتحدة الأمريكية

البريد الإلكتروني:
Email: chris.andrew72@yahoo.com

WATER AND LIFE ● VIRGINIA ● UNITED STATES

إهداء

إلى أساتذتي الأجلاء:

الدكتور القس منيس عبد النور،

الدكتور: داود رياض إرسانيوس،

الدكتور لويس عبد الله،

أساتذة مادة الدفاع عن الإيمان بكلية اللاهوت الإنجيلية، منهم قد تعلَّمت الكثير، وعلى أيديهم قد تدربتُ. بارككم الله وأعطاكم حسب قدرته العظيمة: حكمةً أكثر من لدنه، وعِلماً أغزر من مخازنه، ورحمةً أوفر من بين يديه.

آية عرفان بالجميل، وحبّ لا يموت

أسامة خليل أندراوس

فهرس الكتاب

مقدمة

لم تكن عملية دراسة الكتاب المقدس مسألة سهلة بالنسبة لي، بل عملية استغرقت سنوات كثيرة من البحث الجاد والاطلاع. بدأتُ دراسة الكتاب المقدس عندما كنتُ بالمرحلة الثانوية ولاقيتُ في ذلك صعوبات كثيرة منها على سبيل المثال: صعوبة فهم النَّص الكتابي دون الرجوع إلى الخلفية التاريخية والجغرافية، وكذلك صعوبات لغوية كاللغة العربية التي نصفها نحن المتكلمين بها أنَّها صعبة على العرب أنفسهم!

ومع ذلك بدأتُ بقراءة معظم الكتب والمراجع التي تساعد على هذا، فوجدتُ مشاكل عديدة لا حصر لها منها فقر مكتبتنا المسيحية العربية إلى هذه الأنواع من المراجع التي ترشد الباحث بكل سهولة ويُسر، في الوقت الذي تذخر به المكتبة الإنجليزية والألمانية بمئات المراجع التي تسد حاجة الباحث والقارئ.

المشكلة الأخرى هي ضيق أفقنا كمجتمع شرقي رجعي متعصِّب! فكلما شاء الله أن يخرجنا من هذا القمقم اللعين والعُزلة الفكرية التي وضعنا أنفسنا فيها وأحكمناها انبرى البعض بتحريم قراءة كتب بعينها لأن ما جاء بها هو مخالفٌ لما يعتقدون، وهُمْ في ذلك لم يقدِّموا حتى الآن بديلاً أو مرجعاً يسترشدون به.

مضت سنوات ليست بقليلة... أنهيتُ المرحلة الثانوية... ثم الجامعية لأتخصص في دراسة الأدب الإنجليزي، وقد ساعدني هذا التخصص في الاطلاع على ذخائر المكتبة الإنجليزية في هذا الموضوع، بل وبعد هجرتي للولايات المتحدة ترددت على اجتماعات درس الكتاب في كنائس أمريكية فأدركت مدى حاجة القارئ العربي إلى مرجع مثل هذا يفي

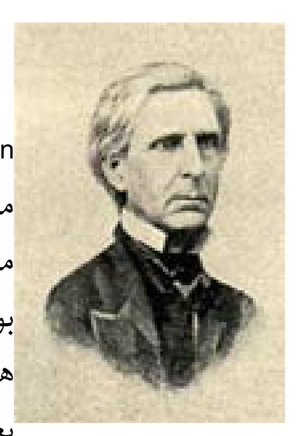
بمتطلبات دراسته الكتابية ومدى فقر مكتبتنا العربية المسيحية لدراسات جادة وعميقة ترتقي بمستوى الفرد المسيحي بعيداً عن التعصُّب الديني الذي تفشَّى في ربوع كنائس المحروسة.

أعترف للقارئ العزيز بأنِّي صناعة الرَّب عن طريق آخرين. نعم يوجد من ساعدوني وأرشدوني وأخذوا بيدي لكي أصل لمرحلة تصنيف كتاب ضخم بهذا الحجم. لقد تعرَّفت على الدكتور القس منيس عبد النور، والدكتور داود رياض، والدكتور لويس عبدالله فكانت معرفتي بهم نقطة تحوُّل في حياتي، فتعلمتُ منهم الكثير واسترشدت بخبراتهم الدراسية والميدانية لإنجاز هذا العمل بعد أكثر من عشرين سنة بحث ودراسة منها عشر سنوات غربة عن أرض الوطن. فلم تنسيني الغربة لغتي الأم وحاجة أبناء وطني وكنيستي العربية لكتاب ناطق بلسانهم ويتحدث عن تاريخ الترجمة العربية للكتاب المقدس وليس مجرد كتاباً مترجماً من لغة أجنبية إلى العربية ليفي بالغرض!

وعند مطالعة القارئ لهذا الكتاب سيدرك أنني عالجت معظم الصعوبات والمشاكل التي تواجه الباحث المبتدئ بلغة سهلة وبسيطة الفهم في مستوى طالب المرحلة الإعدادية.

ليس هذا كتاباً للقراءة فحسب، بل أردتهُ أن يكون مرجعاً دراسياً لكل دارسٍ لكلمة الله، يجد فيه من الأدوات ما يساعده على فهم كتابه المقدس. سيجد فيه ما يقوِّي إيمانه بصحة كتابه، وكذلك مقدِّمة وافية لكل سفر من أسفاره، خلفيات تاريخية وجغرافية، مسرد بالشواهد في كل سفر، تفسير للسفر وتحليل تاريخي وجغرافي له، قواميس وفهارس، خط الزمن، عملات ومقاييس وموازين استعملت في زمن أحداث الكتاب، فك الرموز الكتابية، شرح الاستعارات والكنايات والتشبيهات التي وردت في الكتاب.

أعترف للقارئ أيضاً بأن هذا الكتاب ليس من تأليفي الخاص، بل هو تأليف علماء أفاضل ومخضرمين في علم الدراسات الكتابية واللاهوتية، منهم من كان ناطقًا بالعربية فاسترشدت به كمرجع، ومنهم من كَتَبَ بالإنجليزية فترجمت عنه،. ومنهم من أخذت من أفواههم أثناء وعظهم التفسيري على منابر كنائسهم ودوَّنت، ومنهم من كان مستشرقاً يجيد العربية كالدكتور القس سمعان كلهون الذي أخذت معظم مادة هذا الكتاب من أعماله.



ولد القس سمعان هاورد كلهون Rev Simeon Howard Calhoun في الخامس عشر من شهر أغسطس (آب) عام ١٨٠٤ بولاية ماستشوتست، وتخرج من كلية ويليامز للاهوت بولاية بوسطن عام ١٨٢٩، وعمل كأستاذ في هذه الكلية في الفترة ١٨٣٤ – ١٨٣٠. ثم أصبح بعد ذلك مرسلاً في المجلس الأمريكي للمفوضين للإرساليات الخارجية The American Board of Commissioners for Foreign Missions وفي عام ١٨٤٤ قدم إلى سوريا كمرسل، وأسَّس هناك مدرسة العلوم الأمريكية في عبيَّه إحدى قرى جبل لبنان. كما كان القس سمعان كلهون مديراً لمشروع ترجمة الكتاب المقدس للغة العربية المعروفة باسم ترجمة فاندايك، إذ كان وكيلًا لجمعية الكتاب المقدَّس الأمريكية. وبعد خدمة استمرت أعوام من العطاء غير المتناهي لخدمة سيده أطلقوا عليه اسم «قديس جبل لبنان» ثم عاد إلى أرض الولايات المتحدة الأمريكية.

انتقل القس سمعان كلهون إلى المجد في مدينة بافلو نيويورك في الرابع عشر من ديسمبر سنة ١٨٧٦م عن عمر يناهز ٧٢ عاماً. وخلَّف

مراجع ثمينة منها «مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين» الذي طُبع في بيروت عام ١٨٦٩م، وكتاب «اتفاق البشيرين ودليل المسترشدين» طُبع في بيروت سنة ١٨٧٦م. وقد قام الدكتور القس منيس عبد النور بمراجعة وتنقيح وعصْرَنة وطبع كتاب «اتّفاق البشيرين» ونشره سنة ١٩٩٣م بكنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية، ولكن بقى كتاب «مرشد الطالبين» مهملا!

وما فعلتهُ في هذا الكتاب الذي يحتوي على أربعة أجزاء ليس إلّا تجميع لجهود هؤلاء الأفاضل وبحثهم لسنين عديدة.

ولا يُعدُّ هذا الكتاب طائفياً على الإطلاق، وإنَّما هو محاولة جادة لنقل القارئ المسيحي العادي إلى مرحلة أعمق من العلم والدراسة والثقافة بكتابه المقدَّس. وبعد الاطلاع على هذا الكتاب سيدرك القارئ مدى المجهود الجبار الذي أُلقي على عاتقي في تأليفه وتنسيقه وإخراجه بهذه الصورة.

كما أتقدم بشكر خاص إلى القس عاطف سامي، والأستاذ إبراهيم صموئيل بكنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية على تعاونهم ومجهوداتهم في طبع ونشر هذا الكتاب. عوَّضهم الله بالبركة على تعب محبتهم.

وفي النهاية، لا يسعنا كقارئين ودارسين إلَّا أن نعترف بالجميل لمن سبقونا وأعدُّوا لنا الطريق! فهم تعبوا ونحن دخلنا على تعبهم. شكراً لهم جميعاً، لهم منِّي ألف ثناء وتقدير، سواء كانوا ينتمون إلى الكنيسة الإنجيلية أو الأوثوذكسية، أو الكاثوليكية، علمانيين ورجال دين وشعاري في هذا قول الرسول بولس: «**إِنِّي مَدْيُونٌ لِلْيُونَانِيِّينَ وَٱلْبَرَابِرَةِ لِلْحُكَمَاءِ وَٱلْجُهَلاَءِ**» (رومية ١ : ١٤).

أسامة خليل أندراوس

لقب الكتاب المقدس

لقد صرف الأستاذ مونتيرو وليامز ٤٢ سنة يدرس الكتب الشرقية، وكتب مقارنة بينها وبين الكتاب المقدَّس قال فيها: «كوِّم هذه الكُتُب على جانب مكتبك الأيسر، إذا شئت، ولكن ضع كتابك المقدَّس على الجانب الأيمن، وحده، بمفرده، وبينه وبينها كلها مسافة، فهناك فعلاً مسافة كبيرة تفصل هذا الكتاب الواحد عنها كلها فصلاً كاملاً للأبد. إنَّها مسافة حقيقية، لا يمكن أن يُقام عليها جسر من أي عِلْم أو فِكْر ديني».

يُطلق الكتاب القدس على مجموعة الأسفار التي كتبها أُناسٌ أطهار، ألهمهم الله بكتابتها في أزمنة وأماكن مختلفة. وذلك لأجل إشهار وصاياه ومواعيده وتذكار مراحمه لتهذيب الجنس البشري وخلاصِهِ. وكان اليهود يطلقون اسم «التوراة» على أسفار موسى الخمسة لأنها تتضمن الشرائع والطقوس التي أعطاهم الله إياها على يد النبي موسى في طور سيناء. وكلمة «توراة» كلمة عبرية معناها «الناموس».

ويحتوي الكتاب المقدَّس على جزئين هما العهد القديم والعهد الجديد، وأغلب الظن أن أول من استخدم لفظة «عهد جديد» و«عهد قديم» هو الرسول بولس في رسالته إلى كورنثوس: «**ٱلَّذِي جَعَلَنَا كُفَاةً لِأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ. بَلْ أُغْلِظَتْ أَذْهَانُهُمْ، لِأَنَّهُ حَتَّى ٱلْيَوْمِ ذٰلِكَ ٱلْبُرْقُعُ نَفْسُهُ عِنْدَ قِرَاءَةِ ٱلْعَهْدِ ٱلْعَتِيقِ بَاقٍ غَيْرُ مُنْكَشِفٍ**».(٢كورنثوس ٣: ٦، ١٤) وسُمِّيَا بالعهدين لأنهما يحويان عهد الله وميثاق رحمته في فداء الخطاة بواسطة ابنه يسوع المسيح الوسيط الوحيد بين الله والناس «**لِأَنَّهُ يُوجَدُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ ٱللهِ وَٱلنَّاسِ: ٱلْإِنْسَانُ يَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ**» (١تيموثاوس ٢: ٥).

تقسيم الكتاب المقدس

لاحظ بعض الشارحين الموهوبين أن التقسيم الخماسي للتوراة (أسفار موسى) قد وضع بصمته الواضحة على الكتاب المقدَّس كله. ودعنا نرى نبذة سريعة عن ذلك[1]

يحتوى العهد القديم على ٣٩ سِفراً مقسَّمة إلى خمسة أقسام كالآتي:

٥ ،١٢، ٥، ٥، ١٢

١ - أسفار الشريعة (٥)

٢ - الأسفار التاريخية (١٢)

٣ - الأسفار الشعرية (٥)

٤ - الأنبياء الكبار (٥)

٥ - الأنبياء الصغار (١٢)

العهد القديم

أسفار موسى الخمسة هي:

١ - **سفر التكوين:** وهو سفر البداءات. وفيه نرى بداءة الخليقة، والسقوط، والفداء، والإيمان، والوعد، والاختيار، والمحبة، والميراث، والتأديب، والموت. وبالإجمال نجد فيه بداية كل شئ. وحسناً دُعي هذا السفر «مستودع بذار الكتاب المقدَّس» فكل الأفكار التي نمت فيما بعد كشجرة نجد بذرتها في هذا السفر. لهذا فمن الجميل أن يأتي هذا السفر في الأول، فيكون ترتيبه هو رقم (١).

---

١ يوسف رياض «وحي الكتاب المقدس»

٢ - سفر الخروج: في هذا السفر نجد أفكاراً جديدة تماماً. فالفكر التمهيدي فيه هو الفداء. فداء الشعب من العبودية وإحضارهم إلى الله ليكونوا في علاقة معه. وهذه العلاقة مؤسسة على قاعدتين: الفداء بالدم (خروج ١٢)، والتحرير بالقوة (خروج ١٤). ثم في الجزء الأخير من السفر نجد الحديث عن مسكن الله مع شعبه. فالشركة على أساس الفداء هو ما يؤكده هذا السفر. لهذا من المناسب أن يكون رقم هذا السفر (٢) الذي هو رقم الانفصال كما أنه رقم الشركة.

٣ - سفر اللاويين: وفيه نجد خطاً آخر من الحق، هو الاقتراب إلى الله، والقداسة المرتبطة بذلك، وذلك بعد أن صوَّر المسيح وكمال شخصه وعمله على الصليب في صور رمزية في التقدمات المتنوعة (أصحاح٥-١). ولأن الأقداس هى قلب هذا السفر، ولأن قدس الأقداس هو القسم الثالث من بيت الله، وهو مكعب، ولأن لاوي هو الابن الثالث ليعقوب، وترتيبه سواء في بركة يعقوب لأولاده أو بركة موسى للأسباط هو الثالث (التكوين ٤٩، التثنية ٣٣) لذلك كان من المناسب أن يأتي سفر اللاويين، سفر الأقداس، في الترتيب الثالث.

٤ - سفر العدد: إنه السفر الذي يحدثنا عن الرحلة في البرية، وعن المكائد والحروب التي تعرَّض لها الشعب فيها. وفي هذا يظهر فشل الإنسان من ناحية، كما تظهر أمانة الله من الناحية الأخرى. ثم إنه سفر الخدمة. ولأن الرقم الذي يحدثنا عن الأرض والعالم في الكتاب هو رقم (٤)، كان مناسباً أن يكون سفر العدد هو السفر الرابع.

٥ - سفر التثنية: يبدو في هذا السفر وكأننا نرجع إلى بداية الرحلة. كما نجد استعادة لذكرياتها واستعراضاً لدروسها. وهذا السفر بالعبري اسمه «الكلمات» فالله يعيد عليهم الدرس قبل أن يدخلهم أرض الموعد بالنعمة، ثم يضعهم في الختام أمام مسئوليتهم. ولهذا فكان من المناسب

أن يوضع هذا السفر في آخر هذه المجموعة، وأن يكون ترتيبه رقم (٥) الذي يحدثنا عن النعمة وعن المسئولية.

الأسفار التاريخية وتقسيمها الخماسي:

تنقسم الأسفار التاريخية أيضاً تقسيماً خماسياً، يطابق التقسيم السابق لأسفار الشريعة الخمسة كالآتي:

١ - **سفر يشوع:** وهو مثل التكوين، إذ نجد فيه بداية جديدة للأمة في أرض الموعد.

٢ - **القضاة وراعوث:** يتجاوبان مع سفر الخروج، إذ نجد صراخ العبودية يرتفع من جديد، ليس في مصر هذه المرة، بل في أرض الموعد. ثم نجد أيضاً خلاص الله لهم من العبودية. وأخيراً نجد الشركة في أسمى صورها في سفر راعوث.

٣ - **صموئيل والملوك:** تتجاوب مع سفر اللاويين إذ نجد فيها الكهنوت، بجانب الأنبياء والملوك. وكذا تخبرنا عن خيمة الاجتماع في شيلوه، ثم هيكل الله في أورشليم.

٤ - **عزرا ونحميا وأستير:** نجد فيها مرة ثانية ليس تيهان الشعب في البرية، بل تيهانهم وسط الشعوب. كما أننا نجد الفشل من جانب الإنسان والأمانة والرحمة من جانب الله تكراراً لدروس سفر العدد.

٥ - **أخبار الأيام:** يعود بنا إلى البداية، إلى آدم وإلى تاريخ البشر من ذلك الوقت تكراراً لدرس تثنية ٤ : ٣٢. وبالمنظار الإلهي ينظر إلى كل تاريخ الشعب حتى سبيهم نظراً لفشلهم في المسئولية. لكن لا يُختم دون ذكر لمحة خاطفة لعودتهم بالنعمة. وهو نفس ما حدث أيضاً في تثنية ٣٢.

ونلاحظ أن هذه الأسفار التاريخية في مجملها تمثل القسم الثاني،

أى أنه يحمل في مجمله طابع سفر الخروج: العبودية نتيجة الخطيئة، ثم تداخل الله بالخلاص.

الأسفار النبوية وتقسيمها الخماسي:

١ - **إشعياء:** هو أول النبوات وأكبرها، وتميزه النعمة ووفرة النبوات عن المسيح المولود من العذراء (قارن إشعياء ٧: ١٤ مع تكوين ٣: ١٥). ويتمشى مع طابع سفر التكوين.

٢ - **إرميا ومراثيه:** نجد طابع سفر الخروج مرة أخرى إذ أن خطية الشعب استوجبت استعباده وسبيه إلى بابل. كما أن الصراخ وصغر النفس في مصر الذي يفتتح به سفر الخروج نجده يتجاوب مع الصراخ وصغر النفس في بابل الذي يرد في تذييل سفر إرميا، سفر مراثي إرميا. لكن الخلاص النهائي لهذا الشعب مقدم في صورة نبوية، حيث يقطع الرب معهم عهداً جديداً، لا كالعهد الذي قطعه مع آبائهم يوم خروجهم من أرض مصر (إرميا ٣١).

٣ - **حزقيال:** كتبه حزقيال الكاهن. ويقدم لنا كتاباً كهنوتياً إذ يذكر خطية إسرائيل لا باعتبارها ذنباً وإثماً بل دنساً ونجاسةً استوجبت قطع علاقة ذلك الشعب مع الله. لكن تختم النبوة ليس فقط برجوع الشعب، بل أيضاً ببناء الهيكل حيث سيقدمون ذبائحهم، وحيث سيملأه مجد الرب من جديد بصورة أعظم. وفي هذا نرى طابع سفر اللاويين.

٤ - **دانيال:** كتبه دانيآل النبي الذي قضى معظم عمره في خدمة أباطرة الأمم. وهى النبوة الوحيدة المهتمة بتاريخ العالم وأزمنة الأمم. أي أن طابع سفر العدد واضح فيها. إنه يعيد من جديد قصة فشل الإنسان، فكما فشل إسرائيل كما هو وارد في سفر العدد، هكذا فشلت الأمم أيضاً في زمان سيادتهم على العالم.

٥ - **الأنبياء الصغار الاثنى عشر:** تقدم لنا «كلمات» الرب، التي تُختم في كل النبوات بمشهد المجد، دون إغفال لا جانب النعمة من ناحية الرب في إتمام مواعيده، ولا جانب المسئولية من ناحية الشعب التي تستوجب التأديب.

وهذا القسم الثالث في مجمله يدخلنا إلى داخل المقادس، في محضر الله نفسه. فالنبي هو ذاك الذي يستحضر القلب والفكر إلى الله. وعليه فهذا القسم كله يتمشى مع طابع سفر اللاويين.

الكتب الشعرية وتقسيمها الخماسي:

١ - **المزامير:** أهم وأكبر أسفار القسم - ويساير سفر التكوين في تنوع موضوعاته.

٢ - **أيوب:** يصور لنا الضيق، والشيطان الذي يريد إهلاك المؤمن كما فعل فرعون مع بنى إسرائيل. لكن نجد فيه توقع الولي الفادي (أيوب ١٩ : ٢٥ وخروج ١٢)، من ثم فإن الله يخرج المؤمن من وجه الضيق إلى رحبٍ لا حصر فيه. وهو بهذا يساير سفر الخروج.

٣ - **نشيد الأنشاد:** قدس أقداس هذا القسم، حيث يؤتى بالنفس إلى حجال الملك (أى غرفته الخاصة). ولهذا فهو يطابق سفر اللاويين.

٤ - **الجامعة:** يقدم لنا اختبار سليمان الحكيم من جهة كل ما تحت الشمس، ويدمغه بأنه «باطل الأباطيل، وقبض الريح» (أو انقباض الروح) - الأمر الذي نلمس فيه طابع سفر العدد.

٥ - **الأمثال:** تجد فيه الكلمات والمواعظ، الأمر الذي يتمشى مع سفر التثنية.

ونلاحظ أن هذا القسم في مجمله يتمشى مع سفر العدد لكنه

يقدم لا تاريخ شعب الله في البرية بل اختباراتهم فيها. وكم هو جميل أن هذه الاختبارات مكتوبة شعراً، في صورة تسابيح وأغاني روحية، رغم كونهم «عابرين في وادي البكاء»! ومع صاحب المزمور يقولون «ترنيمات صارت لي فرائضك في بيت غربتي» (مزمور ١١٩: ٥٤)

وبهذا ينتهي العهد القديم بأقسامه الأربعة. وهذا العدد نفسه (٤) يحدثنا عن مجمل مضمون أسفاره فموضوع العهد القديم كما ذكرنا هو الأرض، وفيه قصة تعامل الله مع شعبه الأرضي.

العهد الجديد

هو قسم ثان قائم بذاته ومع ذلك فيمكن تقسيم أسفاره السبعة والعشرين ذات التقسيم الخماسي الذي مر بنا

التقسيم الخماسي للعهد الجديد:

١ - **الأناجيل الأربعة:** بالمقابلة مع سفر التكوين، تقدم لنا بداءة جديدة تماماً بمجيء المسيح له المجد. مع فارق أنه بينما يقدم لنا سفر التكوين أساساً سيَر سبعة أشخاص، فإن الأربعة الأناجيل تقدم لنا شخصاً واحداً. إن صورة واحدة لا تكفي لتعرفني معرفة كاملة على شخص ما، بل يلزمني عادة صور من مختلف الزوايا فأحصل لا على مجموعة صور متناقضة، بل على صور مختلفة تكمل إحداها الأخرى عن ذات الشخص.

فإنجيل متى يقدم لنا الرب كالملك الحقيقي لكن المرفوض. وإنجيل مرقس يصوره لنا كالعبد الكامل ليهوه والخادم لحاجة البشر. وفي إنجيل لوقا نرى الرب يسوع، الإنسان الكامل، المتكل على إلهه، والممتلئ عطفاً على البشرية. أما في إنجيل يوحنا فنجد الرب له المجد باعتباره الله الظاهر

في الجسد، أو بالحري الشخص الإلهي الفريد، وبالتالي الغريب في هذا العالم.

٢ - **أعمال الرسل**: يقابل سفر الخروج، الذي قدم لنا قصة إنقاذ الشعب من عبودية مصر، عبودية الطين واللبن، لكنهم باختيارهم وضعوا أنفسهم في أصحاح ١٩ تحت نير عبودية آخر ثقيل لم يقدروا أن يحملوه، إنه نير الناموس. لكن سفر الأعمال يقدم لنا قصة خلاص الآلاف من مختلف الشعوب (أعمال ٢، ٨، ١٠) لا من الخطية فحسب، بل أيضاً من نير الناموس (أعمال ١٥).

ثم إن سفر الخروج يحدثنا عن مسكن الله، خيمة الاجتماع، وسفر الأعمال يحدثنا عن البيت الجديد الروحي، كنيسة الله، إذ كان الرب يضم كل يوم إلى الكنيسة الذين يخلصون (أعمال ٢ : ٤٧).

٣ - **رسائل بولس**: وهى مثل سفر اللاويين، تتحدث عن الاقتراب إلى الله. فلا توجد كتابات تُشعرك بذات محضر الله، بالسماويات، وبمقام المؤمن السامي، مثل كتابات بولس. لكنها تتحدث في نفس الوقت عن المسئولية التابعة لذلك. وهي:

رومية: موضوعها التبرير، كورنثوس: التقديس، غلاطية: التحرير، أفسس: البركة، فيلبي: الفرح، كولوسي: الكمال، تسالونيكي: المجد.

٤ - **الرسائل الجامعة**: أي رسائل يعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا، فأربعة كتبة، وقسم رابع. أما الموضوع فهو مركز المؤمن على الأرض وسلوكه هنا كغريب ونزيل، وهو عرضه في البرية لهجوم إبليس الأسد الزائر، كما أنه عرضة لجاذبيات وإغراءات وشهوات العالم الذي محبته عداوة لله. وعليه فطابع سفر العدد واضح فيها.

٥ - سفر الرؤيا: يتوافق مع سفر التثنية، حيث فيه نجد مجملاً لأفكار الله من البداية إلى النهاية. ومن الناحية الواحدة نجد مسئولية الرافضين، ومن الناحية الأخرى نجد النعمة السامية التي تتعامل مع المؤمنين.

ما أعجب تراكيب هذا الكتاب الواحد الفريد! هل كان ممكناً لمجموعة من الكتّاب تباعدت بينهم العصور أن يقدموا لنا كتاباً كهذا لولا أن الله قادهم من البداية إلى النهاية؟!!

سفر المزامير وتقسيمه الخماسي:

والعجيب أنه يمكنك أن تجد نفس هذا الطابع الخماسي في سفر واحد مثل سفر المزامير. فمعروف أن هذا السفر مقسَّم في العبري إلى خمسة كتب، ويسميه بعض اليهود «توراة داود» تمشياً مع توراة موسى. وهذا التقسيم ليس اجتهادياً بل أن كل قسم منه يختم بالقول «مبارك الرب ... آمين ثم آمين» أو ما يشبهه.

فالكتاب الأول: من مزمور ١ إلى ٤١، يميزه كثرة التحدث عن الإنسان (مزمور ١، ٨، ١٦... الخ)، فيبدأ بالفارق بين البار والأشرار (مز ١)، وكذا بين الإنسان الأول آدم والإنسان الثاني (مزمور ٨)، وهكذا. كما أنه يحدثنا عن البدايات وعن الخليقة (مزمور ٨،١٩) ولهذا فهو يتمشى مع سفر التكوين.

والكتاب الثاني: من مزمور ٤٢ إلى ٧٢، يكثر الحديث فيه عن الفداء بالدم والتحرير بالقوَّة، لأنه يبدأ بالشعب وهم يئنُّون ويتنهَّدون طالبين النجاة (مزمور ٤٢). إنه كتاب الفداء والفصح (مزمور ٥١ : ٧)، وهو مثل سفر الخروج.

والكتاب الثالث: من مزمور ٧٣ إلى ٨٩، وهو يبدأ بمزمور لآساف

اللاوي، وفيه يرد القول «حتى دخلت إلى مقادس الله» موجهاً النظر إلى الطابع العام لهذا القسم وهو القداسة. فهذا الكتاب إذاً هو كتاب مساكن الرب (مزمور ٨٤) والكفَّارة (مزمور ٨٥)، ويتوافق مع سفر اللاويين.

والكتاب الرابع: من مزمور ٩٠ إلى ١٠٦، وهو يُفتَتَح بالمزمور الوحيد المعنون «لموسى رجل الله» رجل البرية إذ قضى في البرية معظم حياته. إنه إذاً كتاب البرية والغربة، ويتمشى مع سفر العدد.

والكتاب الخامس: من مزمور ١٠٧ إلى ١٥٠، وهو كتاب التثنية الداودي، ويحتوى على المزمور العجيب، مزمور ١١٩، أطول أصحاح في الكتاب المقدَّس، والذي موضوعه من البداية إلى النهاية هو «كلمة الله»!! إنه إذاً كتاب الكلمات والطاعة، مثل سفر التثنية.

وممكن أن نعتبر ختام الكتاب الخامس هو مزمور ١٤٥ الذي يُختم ببركة كل بشر لاسم الرب، وبعده تأتي المزامير الخمسة الأخيرة بمثابة تذييل رائع لهذا السفر العظيم، كل واحد منها يبدأ ويختم بعبارة «هللويا» أو سبحوا الرب، أو بالعبارتين معاً.

أليس جميلاً أن الرقم خمسة يضع بصمته الواضحة على كل الكتاب. ونحن نعرف أن الرقم خمسة هو رقم عمانوئيل (الله معنا). ليس فقط الله معنا، بل معنا أيضا كلمته (أعمال ٢٠: ٣٢).

ترجمات الكتاب المقدس

كان الكتاب المقدَّس عند كثيرين من المسيحيين في القرن الأول هو الترجمة اليونانية للعهد القديم (السبعينية) وقد شُرِع بإعدادها في القرن الثالث ق م. وبعد اكتمال العهد الجديد بدأ عمل الترجمة. ربما كانت أول ترجمة هي اللاتينية. وكانت هذه هي اللغة الرسمية في الإمبراطورية الرومانية، وإن كانت اللغة اليونانية هي اللغة التي شاع التخاطب بها بين المسيحيين على أوسع نطاق، حتى في إيطاليا. وفي بادئ الأمر اُستُعْمِلَت اليونانية في أغلب الكنائس.

منذ القرن الثاني فصاعداً وُجِدت عدة ترجمات محلية للكتاب المقدَّس. ولكن الناس شعروا بالحاجة إلى ترجمة قياسية يُعْتَرَف بها ويستخدمها الجميع. وهكذا ففي زمن ما قبل ٣٤٨ م طلب دوماس أُسقُف روما من أمين سرِّه أن يراجع العهد الجديد اللاتيني وينقِّحهُ. كان هذا الرجُل هو إيرونيموس «جيروم» الراهب العظيم، وهو أول مترجم الكتاب المقدَّس (ترجمة قياسية يُعْتَرَف بها ويستخدمها الجميع) عام ٣٨٥م، ومنذ ذلك الوقت وترجمة إيرونيموس اللاتينية (المعروفة بالڤلوجاتا vulgate أو الشعبية) هي الكتاب المقدَّس الأم وكان لها أثراً عظيماً على تاريخ الكتاب المقدَّس، وعلى مدى أكثر من ألف سنة كانت هي الأساس لجميع الكتب المقدَّسة المتداولة في أوربا وظلَّت هكذا إلى أن جاء يوحنا جوتنبرج باختراعه العظيم آلة الطباعة. وتم طبع الكتاب المقدَّس وتداولته جميع الكنائس والأديرة.

كان إيرونيموس عالِمًا مدققاً، وقد قام بعمله على أكمل وجه. فلكي يترجم العهد القديم تعلَّم العبرية في بيت لحم حيث أقام بضع سنين، إذ أنجز ترجمته بالنسخ اليدوي ونشرها في بلاد عديدة، وحملت

كلمة الله رجاء وحياة جديدة لأعداد لا تُحصى من البشر.

وفي القرن الثاني بدأ بعض المترجمين عملهم في السريانية وهي لهجة متفرعة من اللغة الآرامية التي تكلَّم بها السيد المسيح. ومع أن اللغة السريانية القديمة مازالت تُستَخدم في التخاطب حتى الآن في شمال العراق، فإن الترجمة السريانية التي أُنجِزَت في القرن الرابع (الفشطا أو البسيطة) ما زالت تُستخدم في العبادة عند بعض المسيحيين والسوريين في سوريا والعراق وإيران والهند وغيرها من البلدان.

وفي مصر استعملت الكنيسة أولًا اللغة اليونانية. ولكن مع انتشار المسيحية جنوباً برزت الحاجة إلى ترجمة مصرية «قبطية». وقد بدأت هذه الترجمة في القرن الثالث، وما زال الكتاب المقدَّس القبطي حيّاً في القُدَّاسِ القبطي الأرثوذكسي.

وبعد اهتداء قسطنطين الإمبراطور الروماني الشهير عام ٣١٢م انتشرت المسيحية بسرعة مذهلة، فدعت الحاجة حالاً إلى ترجمات جديدة. وبعدما غزا القوطيون الإمبراطورية في حوض نهر الدانوب، أنجزوا ترجمة للكتاب المقدَّس كلّه باللغة القوطية قام بها المبشِّر أولفيلاس. ومع أن اللغة القوطية انقرضت منذ زمن بعيد، ما زال جزء كبير من هذه الترجمة محفوظاً في مخطوطات.

ثم أن مسروب مخترع الأبجدية الأرمينية قام بترجمة الكتاب إلى الأرمينية في القرن الخامس عشر، ومعلوم أن الأرمن كانوا أول أُمَّة مسيحية في العالم. وما زالت هذه الترجمة هي القياسية لدى الكنيسة الأرمينية العريقة سواءٌ في جمهورية أرمينيا أو في البلدان العديدة التي تشتت فيها الأرمن. وربما كانت الترجمتان الحبشية والجورجانية تعودان إلى القرن الخامس أيضاً، وما تزالان تُستعملان اليوم في كنائس إثيوبيا وجمهورية چورچيا.

وفيما بعد أُنجزت ترجمة بالسلافية القديمة، وهي اللغة التي كانت متداولة في بلغاريا والصرب وجنوب روسيا في القرن التاسع. ولما اهتدت القبائل السلافية إلى المسيحية على يد القديس سيريل «كيرلس». وقد اخترع هذا القديس الأبجدية السيريلية ثم ما لبث أن تولَّى ترجمة الكتاب المقدَّس كله إلى السلافية. وما زالت هذه الترجمة هي الترجمة الرسمية عند الكنيسة الأرثوذكسية الروسية.

فضلاً عن هذه الترجمات الكنسية، نعرف على الأقل ترجمة «إرسالية» واحدة أُنجِزَت قبل تأسيس أية كنيسة. فنحو ٦٤٠م قام جماعة من المبشِّرين النساطرة، وكانت السريانية لغتهم، بترجمة الأناجيل إلى الصينية وتقديمها إلى الإمبراطور تاي تسونْغ.

العصور المظلمة:[٢]

أخذت المسيحية تنتشر بسرعة ولاسيما في شمال أوربا وشرقها، خلال القرون التي أعقبت انهيار الإمبراطورية الرومانية في الغرب. ومع تنامي الكنيسة تُرجِمت أجزاء من الكتاب المقدَّس إلى عدة لغات جديدة.

وفي أوائل القرن الثامن الميلادي تُرجمت أجزاء من الكتاب المقدَّس إلى الإنجليزية على يد الأسقف آلْذهيلهم في جنوب بريطانيا، وعلى يد والمؤرخ بِيْد في الشمال كلٍّ على حدة. ولكن لم يبقَ شيء من هذه الترجمات. كذلك قام الملك الإنجليزي ألفرد (٩٠١-٨٧١ م) بترجمة أجزاء من الخروج والمزامير والأعمال. وبعد الفتح النورمندي تُرجمت أسفار مختلفة إلى الإنجليزية أو بعض لهجاتها المحلية. ومن الترجمات التي بقيت إلى اليوم ترجمة إنجيل متَّى بالفرنكية (الألمانية القديمة) تمَّت عام ٧٥٨م. أما النصوص الفرنسية فتعود إلى القرن الثاني عشر، والإيطالية إلى القرن

٢ موسوعة الكتاب المقدس، صادرة عن دار منهل الحياة، لبنان.

الرابع عشر.

سابقوا الإصلاح:

ظهرت في أواخر العصور المظلمة في الغرب عدة ترجمات جديدة للكتاب المقدَّس. وهذه الترجمات توجهت إلى عامة المسيحيين وقد باشرها أشخاص غير خاضعين للكنائس التقليدية. فنحو عام ١١٧٠م قرأ تاجر من ليون، وهو بطرس والدو، العهد الجديد فوجد هدفاً جديداً في الحياة. ومنذ ذلك الوقت قام بالترتيبات اللازمة لترجمة الكتاب المقدَّس إلى لغة فرنسا الجنوبية. وقد أسس أتباعه الكنيسة الولدنسية التي كابدت الاضطهاد طيلة قرون عديدة.

وبعد ٢٠٠ سنة تقريباً، كان لاهوتي من أوكسفورد يدرس الكتاب المقدَّس، فاقتنع اقتناعاً راسخاً بضرورة نقله إلى لغة الشعب. ونتيجة لمجهود هذا الرجل، جون ويكلف، تم ترجمة الڤولوجاتا vulgate اللاتينية إلى الإنجليزية عام ١٣٨٤م، وفي عام ١٣٩٥م تم تنقيح وتبسيط هذه الترجمة. وقد تضمَّنت بعض النسخ ملاحظات تؤيد وجهة نظر اللولارديين (أتباع ويكلف). فعُقد مجمع أوكسفورد عام ١٤٠٨م ليمنع هذه الترجمة من النَّسْخ التداول. ولكن بعد ١٠٠ سنة حين ظهرت أول أسفار مطبوعة من الكتاب المقدَّس، كانت مئات من هذه الترجمة ما تزال قيد التداول.

وفي بوهيميا (تشيكوسلوفاكيا) حدثت حركة مماثلة، إذ تأثر قسيس جامعة براغ جون هِس بتعاليم ويكلف. ومع أنَّه أُحرق على عمود في عام ١٤٥١م شرع أتباعه في عمل ترجمة للكتاب المقدَّس، وكان نتيجتها العهد الجديد باللغة التشيكية عام ١٤٧٥م.[٣]

٣ راجع كتاب «حديث مع مارتن لوثر» للدكتور القس لبيب مشرقي.

الطباعة والإصلاح:

في عام ١٤٥٠ وفي ماينز بألمانيا اخترع يوحنا جوتنبرج Johannes Gutenberg عملية الطباعة باستعمال حروف معدنية مسبوكة، يتم صفَّها جنباً إلى جنب ثم تُفك بعد الطباعة لتُستعمل من جديد. وبذلك استهلَّ عهدٌ جديد في تاريخ الكتب، وفي مقدمتها الكتاب المقدَّس. فكان أول انتاج ضخم أصدرته المطبعة هو الكتاب المقدَّس باللاتينية عام ١٤٥٦م. وبعد عشر سنين طُبع الكتاب المقدَّس بالألمانية عن ترجمة قام بها مترجم مجهول -مجهول بالنسبة لنا، ولكنه معلوم جيداً لفادينا الذي أرشده إلى هذا العمل الجليل- في القرن الرابع عشر. وفي عام ١٤٧١م طُبع أول كتاب مقدَّس بالإيطالية، وما لبث أن أعقبه العهد الجديد بالفرنسية، ثم الكتاب كلّه بالهولندية عام ١٤٧٧م. ثم بالكاتالانية (أسبانيا عام ١٤٧٨م).

هذه الطبعات والترجمات اعتمدت على مخطوطات موجودة ومترجمة من اللاتينية، ولكن مع نهضة العلوم وآداب اللغات الحية والميتة، بدأت دراسة النصوص باللغات الأصلية. ففي عام ١٤٨٨م طبع علماء اليهود العهد القديم بالعبرية عن مخطوطات محفوظة بعناية، وقد حدث ذلك في إيطاليا. وفي ١٥١٦م نشر اللاهوتي الهولندي إيرازموس العهد الجديد اليوناني مطبوعاً. وقد كان إيرازموس من الداعين إلى ترجمة الكتاب المقدَّس إلى لغة التخاطب، مع أنَّه هو نفسه لم يكن مترجماً (إلَّا إلى اللاتينية) ليستفيد من الكتاب أهل اللغات المختلفة وعامة الناس من الفلاحين والبُسطاء.

وفي تلك الأثناء كان في ألمانيا راهبٌ شاب اسمه «مارتن لوثر» يدرس الكتاب المقدَّس اللاتيني بكل شوق. وقد هزَّته كلمات بولس الرسول عن الإنجيل «**لِأَنَّ فِيهِ مُعْلَنٌ بِرُّ ٱللهِ بِإِيمَانٍ لِإِيمَانٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ**

«**أَمَّا ٱلْبَارُّ فَبِٱلْإِيمَانِ يَحْيَا**» (رومية ١: ١٧) وها هو يصف الرَّاحة والحرية اللتين حملتهما إليه هذه الكلمات «شعرتُ بأني قد وُلِدتُ من جديد بجملتي ... إذ محبتي للعبارة «**بِرُّ الله**» عظيمةٌ بقدر كُرهي لها قبلئذٍ. وعلى هذا النحو كانت لي هذه الآية بالحقيقة باب الفردوس.»

كان لوثر أستاذاً ومحاضراً في جامعة وتنبرج. فعكف على نشر هذه الرسالة ودرس بتدقيق العهد القديم العبري والعهد الجديد اليوناني الذي طبعه إيرازموس. ثم تولَّى مهمة القيام بترجمة جديدة إلى الألمانية بأوضح وأدق عبارة ممكنة. وهكذا ظهر العهد الجديد في ١٥٢٢م والكتاب كلّه ١٥٣٢م. والشي الذي يُعد معجزيًّا حقاً هو أن لوثر أتم ترجمة العهد الجديد كله بمفرده في ثلاثة أسابيع فقط! وإذ كانت اللغة الألمانية لغة الشعب الجاهل ولغة الشارع وليس المدرسة والجامعة، فقد أصبحت اللغة الألمانية بترجمته لوثر للكتاب اللغة الرسمية للبلاد في التعامل والتدريس وكافة شئون الحياة. وتُعد ترجمة لوثر أشهر وأدق ترجمة في اللغة الألمانية.

أما في اللغة الإنجليزية فإن ترجمة وليم تندال Tyndale للعهد الجديد تُعتبر أم الترجمات، وقد طُبِعت أول مرة عام ١٥٢٦م. وبعدها جاءت ترجمة مايلز كوفردال والتي أجاز الملك هنري الثامن تداولها. وقد تضمنت هذه الترجمة أسفار الكتاب كلها. وأول كتاب مقدَّس كامل طُبع في اللغة الإنجليزية صدر عام ١٥٣٧م وفي ١٥٦٠م صدرت طبعة منقَّحة ومقدمة للملكة إليزابث، فلقت رواجاً كبيراً حتى أنَّها طُبِعت سبعين مرَّة خلال فترة مُلْكِهَا. إلَّا أنَّ أشهر ترجمة إنجليزية للكتاب المقدس هي تلك المعروفة بترجمة الملك جيمس King James وقد أُبتدئ العمل لإتمامها عام ١٦٠٣م، وظلَّت على مدى ٣٥٠ سنة في مقدمة الترجمات الإنجليزية إلى أن تم تنقيحها وعصْرَنتها حديثاً تحت اسم New King James. أما اليوم

فتوجد أكثر من عشرين ترجمة في اللغة الإنجليزية.

روّاد ترجمة الكتاب

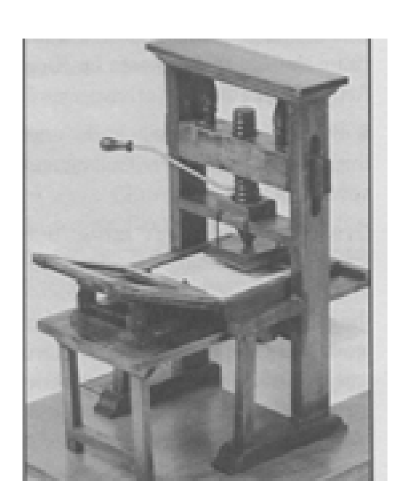
مع تقدم العمل التبشيري والمرسلي على يد الطوائف الإنجيلية وبخاصة المشيخية والأسقفية، نشطت ترجمة الكتاب المقدَّس أو أجزاء منه إلى مختلف اللغات. ففي عام ١٦١٣م صدر العهد الجديد باللغة اليابانية لأول مرَّة، وفي عام ١٧١١م باللغة التاميلية الهندية. ويجدر بنا هنا أن نذكر جهود وليم كاري الذي عكف طوال أربعين سنة على ترجمة الكتاب إلى عدة لغات ولهجات، فقد وصل الهند مع مساعديه عام ١٧٩٣م، ولما توفى كانت مطبعته قد أصدرت ٣٧ ترجمة بينها البورمية والصينية.

ومع تأسيس أول جمعية للكتاب المقدس عام ١٨٠٤م، بدأت تصدر ترجمات بلغات شتى، وهكذا ازداد انتشار كلمة الله بين الشعوب بلغاتهم المختلفة. وأكبر مشروع لترجمة الكتاب المقدس يتولاَّه اليوم «اتحاد جمعيات الكتاب المقدَّس» وهو يضم نحو ستين جمعية حول العالم، ويُعني بتنقيح الترجمات الموجودة و إصدار ترجمات جديدة في لغات بينها العربية، والهندية والصينية. وقد فاقت ترجمات الأسفار المقدَّسة كاملة أو أجزاء ١٥٠٠ لغة ولهجة.

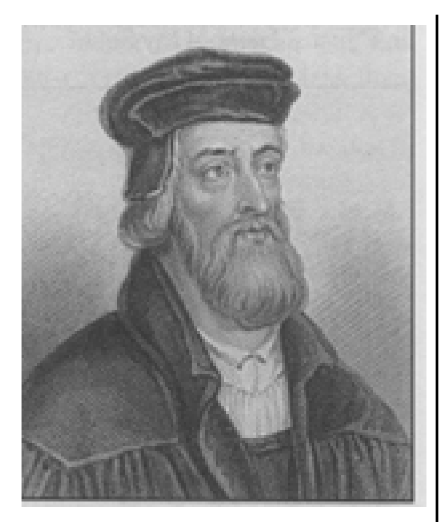
صور المصلحين والمترجمين



مارتن لوثر زعيم الإصلاح الإنجيلي وأفضل من ترجم الكتاب إلى اللغة الألمانية



آلة الطباعة الأولى التي اخترعها جوتنبرج خصيصًا لطباعة الكتاب المقدس، وتمت أول طبعة للكتاب كله على هذه الآلة عام ١٤٥٥م



چون ويكلف، أول من ترجم الكتاب إلى اللغة الإنجليزية، ١٤٠ سنة قبل حركة الإصلاح الديني التي قام بها لوثر



وليم تندال، أُعدم حرقًا بالشد على الخاذوق لأنه ترجم الكتاب إلى الإنجليزية، وتعتبر ترجمته أم الترجمات في هذه اللغة.

نسخ الكتاب المقدس وتاريخ اختراع الكتابة

منذ عصر أفلاطون (٤٢٩ق م) وبناء على ما ذكره هذا الفيلسوف في بعض مؤلفاته، أن ينسبوا اختراع الكتابة إلى المصريين القدماء. ولكن أوضح الدلائل المستفادة من أقدم المخطوطات نفسها مع شهادة المؤرخين القدماء الذي يعوَّل عليهم ويُوثقُ بكلامهم تشير إلى أن القبائل المستوطنة في غربي آسيا هُم مخترعوا صناعة الكتابة، ولهم يُنْسَب أقدم أشكال الخط.

لقد اختلفت الآراء من جهة القبيلة التي لها يُنسَب أصل هذا الاختراع، فمنهم من قال هي الآشورية، ومنهم من قال هي البابلية، وذهب بعضهم للآرامية، وآخرون الفينيقية ومنهم العبرية! وليس لنا برهانٌ قاطع يثبت صحة هذا الرأي أو ذاك، إلَّا أن أصح الآراء تنسب هذا الاختراع إلى إحدى القبائل السامية الساكنة غربي آسيا، وهذا هو حد معرفتنا بهذا الأمر.

ولكن أصح الآراء هو أن أهل فينيقية استنبطوا خطًّا دارجاً من خط المصريين القدماء الخاص بالكهنة، وذلك لاضطرارهم إليه لأنهم أهل تجارة. والخَط المصري المشار إليه صعب ومكلف لأنه يحتاج إلى قدرات فنية عالية لرسم الحروف، فاستنبطوا خطًّا دارجاً سهلاً يُستَعْمَل في الكتابة الاعتيادية، ومنهم انتهى إلى بلاد اليونان.

قال المعترض: «لم تكن الكتابة معروفة في عهد موسى. فلا يكون موسى قد كتب الكتب الخمسة التي ينسبها اليهود إليه».[٤]

وللرد نقول: (١) قال جريبو في رسالته التي كتبها على رسالة شمبوليون الشهير (أول من قرأ اللغة الهيروغليفية) إن موسى النبي كان

---

٤ د.ق. منيس عبد النور «شُبُهات وهمية حول الكتاب المقدَّس».

يكتب على البردي. ويوجد في متحف «تورين» بردية مكتوبة بالقلم المصري، تشتمل على وثيقة مكتوبة في عهد تحتمس الثالث الذي كان قبل موسى بقرنين. وهذا يبرهن أن الكتابة كانت معروفة قبل عصر موسى.

(٢) في المتحف البريطاني رسالة على البردي، كتبها كاهن مصري اسمه «أحميس» تاريخها ٣٤٠٠ ق م، وعنوانها «حل المشكلات» وهي مجموع مسائل حسابية وهندسية بالكسور والدوائر ومقاييس الهرم وبعض مثلثات وإشارات جبرية. وهذه الرسالة بخط اليد وتُلقَّب برسالة «رند».

(٣) في سنة ١٨٨٨م اكتشف المنقّبون في تل العمارنة (محافظة المنيا في مصر) أكثر من ثلثمائة قالب طوب، مكتوب عليها بالقلم المخروطي، نقلوا أكثرها إلى برلين، ونقلوا باقيها إلى لندن، وتاريخها قبل موسى بنحو ١٥٠ سنة، مما يبرهن أن الكتابة كانت معروفة عند المصريين قبل النبي موسى. ويشهد الكتاب المقدَّس أن موسى تهذَّب في مدارس مصر الكبرى، وتعلَّم حكمة المصريين (أعمال ٧: ٢٢). وقال المؤرخ يوسيفوس إنه لما كان عمر موسى ٤٠ سنة قاد فرقة عسكرية إلى الحبشة، واستولى على مدينة سبأ. فلا بد أنه كان يعرف الكتابة. فليس الجهل إذاً جهل موسى ولكن الجهل جهل المعترض!

فالأمر واضح الآن وجلياً أن صناعة الخط والكتابة كانتا معروفتان عند العبرانيين قبل عصر موسى. ومن مجاورة العبرانيين والكنعانيين والفنيقيين مكاناً ولُغَةً فكل صناعة كانت معروفة عند إحدى هذه القبائل امتدت بسهولة إلى الآخرين. وإذ قد أنبأنا صاحب الأسفار الخمسة بأسماء مخترعي بعض الصناعات «**وَعَرَفَ قَايِينُ ٱمْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ حَنُوكَ. وَكَانَ يَبْنِي مَدِينَةً فَدَعَا ٱسْمَ ٱلْمَدِينَةِ كَٱسْمِ ٱبْنِهِ حَنُوكَ. وَٱسْمُ أَخِيهِ يُوبَالُ ٱلَّذِي كَانَ أَباً لِكُلِّ ضَارِبٍ بِٱلْعُودِ وَٱلْمِزْمَارِ. وَصِلَّةُ أَيْضاً وَلَدَتْ**

تُوبَالَ قَايِينَ ٱلضَّارِبَ كُلَّ آلَةٍ مِنْ نُحَاسٍ وَحَدِيدٍ. وَأُخْتُ تُوبَالَ قَايِينَ نَعْمَةُ.» (تكوين ٤ : ١٧ ، ٢١و٢٢). فنظن أنَّه لو عرف اسم مخترع الكتابة لأخبر عنه. ذُكر في قصة يهوذا وثمار (تكوين ٣٨) أن يهوذا كان له خاتم، ونقش الخواتم صناعة كانت معروفة عند العبرانيين في البرية (خروج ٢٨ : ١١، ٢٢-٢١) وحيثما كانت هذه الصناعة فلابد من وجود صناعة الكتابة أيضاً هناك. ولم تكن هذه الكتابة على هيئة صور وأشكال طبيعية كما هو الحال عند كتابة الكهنة المصريين، بل حروف هجائية كما يتضح من (العدد ٥ :٢٣) حيثُ يُؤْمَرُ بكتابة اللعنات في كتاب، ومن (لاويين ٢٦ :١؛ العدد ٣٣ :٥٢) حيثُ ينهي عن كتابة الإشارات والصور على حجارة لئلاَّ ينقادوا بها إلى العبادة الباطلة. والشريعة الموسوية نفسها كُتِبَت بأحرف هجائية وكانت هي أكبر واسطة لإشاعة تلك الحروف.

أمَّا المواد المستخدمة في الكتابة فتجدها بأكثر تفصيل في الفصل القادم، وإن كان الكتاب نفسه ذكر بعض تلك الأدوات مثل دواة الكاتب (المحبرة) في (حزقيال ٩ :٣). وفي (إرميا ٣٦ :٢٣) ذُكرت مبراة الكاتب أي السكين أو الآلة الحادة المستخدمة لبري الأقلام. ومن هذه الدلائل نستنتج أن صناعة الكتابة في تلك الأيام لم تختلف كثيراً عن أيامنا الحاضرة إلَّا بتبديل الرقوق والقراطيس بالورق.

النُسخ العبرية

أمَّا اليهود القاطنون في فلسطين وبابل فكانوا محافظين على النُّسح العبرية بغاية التدقيق والحرص، ولمَّا أكمل إيرونيموس (جيروم) ترجمته اللاَّتينية (الڤلوجاتا) عن اليونانية السبعينية صحَّح بعض قراءتها على اللهجة العبرية الفلسطينية لزيادة اعتماده عليها كما يشهد هو نفسه في تفسيره لرسالة تيطس أصحاح٣، حيث أشار إلى النسخة العبرية التي

اعتمد عليها أوريجانوس في عمله «الهكسابلاَّ»أي مجموع خمس ترجمات مع الأصل العبري في كتاب واحد. فالأمر ظاهر أنَّه في أيام المسيح أو قبل أيامه كانت عند اليهود في فلسطين وبابل نُسخ عبرية يُعَوَّل ويُعتَمد عليها في النسخ منها. ومن تلك الأيام ابتدئ بوضع الحركات على متن الكتب المقدَّسة لزيادة الضبط. ويجمع كتاب التلمود الدال على شدة الحرص في الاحتفاظ على كل نقطة من الكتب المقدَّسة انتهت إلينا النُّسخ التي طُبِعَت عنها التوراة العبرية المطبوعة الآن، والتي بُنِيَت عليها الترجمات في مختلف اللغات.

أمَّا ما بين القرن السادس والقرن العاشر الميلادي كان لليهود مدرستان شهيرتان إحداهما في بابل وسُمِّيت «الشرقية» والأخرى في طبرية وسُمِّيت «الغربية». ومع تمادي الأجيال حدث اختلافات في بعض القراءات بين النُّسخ الشرقية والغربية، وفي أوائل القرن الحادي عشر أخذ هرون بن أشير رئيس مدرسة طبرية يقابل النُّسخ الغربية، ويعقوب بن نفتالي رئيس مدرسة بابل أخذ يقابل النُّسخ الشرقية وكلاهما قيَّدا الاختلافات على حواشي نسختيهما. وكانت الاختلافات جميعها متعلِّقة بالحركات.

ثم حدث أن انتقل اليهود من الشرق إلى أوربا في القرن الحادي عشر الميلادي وأحضروا معهم نسخاً عديدة من الكتب المقدَّسة العبرية المضبوطة والمشكَّلة ونسخوا عنها عدة نُسَخ منها:

١ - نُسخة «حليل» وجدت في أسبانيا في القرن الثاني عشر.

٢ - نُسخة «ابن أشير» المُشار إليها من قبل.

٣ - نُسخة «ابن نفتالي» المُشار إليها من قبل.

٤ - نُسخة «أريحا» وهي أصح نُسخ الشريعة الموسوية.

٥ - نُسخة «السينائية».

٦ - نُسخة «الهندية» وجدت عند اليهود القاطنين في بلاد الهند، وأُحضِرت إلى أوربا في أواخر القرن الثامن عشر.

ونُسخ أخرى عديدة منها ٦٩٤ نُسخة بعضها كاملة وبعضها ناقصة، قابلها المعلم «كنيكوت» وطبع قراءتها بين عام ١٧٧٦م وعام ١٧٨٠م ونحو ١٦٠ نسخة غير هذه قابلها المعلم «دي روسي» وأضاف قراءتها إلى قراءة كنيكوت وطبعها في مدينة بارما في إيطاليا عام ١٧٨٤م ١٧٨٨م وزاد عليها بعض الحواشي عام ١٧٩٨م. وهذه النُّسخ محفوظة في متاحف أوربا وأقدمها يرجع إلى القرن الثامن. أمَّا النسخة العبرية المحفوظة في الهكسابلَّا للعلَّامة أوريجانوس المُشار إليها سابقاً ترجع إلى القرن الثاني الميلادي، والآيات المذكورة في كتاب التلمود هي أقدم الكل، فمن مقابلة هذه جميعها نرى أن نُسخ الكتاب المقدَّس العبرية قد حُفِظت بكل عناية وتدقيق، هذه عن النُّسخ العبرية.

أمَّا عن النُّسخ اليونانية فتجدها أكثر تفصيلاً في فصل مستقل بعنوان «مخطوطات الكتاب المقدَّس».

كيف كتب الكتاب المقدس؟

يتساءل الكثيرون عن خلفية الكتاب المقدَّس وأقسامه والمواد التي استعملت في إنتاجه. ونقدم للقارئ هنا بعض المعلومات التي تساعد على فهم ذلك، ليزيد تقديره لكلمة الله.[٥]

أولا: المواد المستعملة في كتابة الكتاب المقدس:

١ - مواد الكتابة:

(أ) ورق البردي: لم نستطع الحصول على كل المخطوطات القديمة من الكتاب المقدَّس، لأنها كانت مكتوبة على مواد تبلى، معظمها من ورق البردي المصنوع من نباتات البردي التي كانت تنمو في المياه المصرية الضحلة. وكانت السفن الكبيرة المحملة بالبردي تصل إلى ميناء بيبلوس السوري، ومنها جاءت الكلمة اليونانية بيبلوس بمعنى «كتب». كما أن الكلمة الانكليزية Paper التي تعني ورق تجيء من الكلمة اليونانية التي تعني البردي.

أما طريقة صنع ورق البردي فكانت بقَطْع شرائح طولية رفيعة من نبات البردي، ودقها ثم لصق طبقتين منها على بعضهما، طبقة بالطول والأخرى مستعرضة عليها، وتوضع في الشمس لتجف، ثم ينعّمون سطحها بحجر أو بغير ذلك من المواد. وكان ورق البردي من ثخانات مختلفة، بعضها رقيق جداً. وترجع أقدم أنواع ورق البردي الموجودة الآن إلى سنة ٢٤٠٠ ق م ولا يمكن لمخطوطات الكتاب المقدَّس المصنوعة من ورق البردي أن تعمر طويلاً، إلا إذا كانت محفوظة في أماكن جافة،

٥ «ثقتي في التوراة والإنجيل»، مرجع سابق.

كصحاري مصر أو كهوف وادي قمران حيث اكتشفت مخطوطات البحر الميت. وقد استمر ورق البردي في الاستعمال حتى القرن الثالث بعد الميلاد.

(ب) **الرقوق:** وهي من جلود الماعز والأغنام والغزلان والحيوانات الأخرى، بعد نزع الشعر منها ومسحها لتصير صالحة للكتابة عليها. ويشتق أسم الرقوق في اللاتينية من مدينة برغامس في آسيا الصغرى، التي اشتهرت بعمل الرقوق.

(ج) **الرق:** وهو اسم جلد العجل الذي كانوا يصبغونه باللون الأرجواني ويكتب عليه باللون الفضي أو الذهبي. وتوجد اليوم مخطوطات قديمة منه ترجع إلى عام ١٥٠٠ ق م

(د) وهناك مواد أخرى للكتابة مثل الفخار الذي كثر وجوده في مصر وفلسطين. وقد ترجمت الكلمة في الكتاب المقدَّس شقفة (أيوب ٢ : ٨) كما كانوا يكتبون على الأحجار بقلم من حديد. كما كانوا يكتبون على اللوحات الطينية بأدوات حادة، ثم يجففونها لتظل سجلاً باقياً (إرميا ١٧ : ١٣) و(حزقيال ٤ : ١). وكانت هذه أرخص وسيلة، وأبقاها على الزمن. كما كانوا يكتبون بقلم معدني على ألواح خشبية مغطاة بالشمع.

٢ - أدوات الكتابة

أ- قلم من حديد للحفر على الحجر.

ب- قلم معدني مثلث الجوانب مسطح الرأس للكتابة على لوحات الطين أو الشمع.

ج- القلم المصنوع من الغاب وطوله من ست إلى ست عشرة بوصة له سن كالإزميل. وقد استعمله أهل ما بين النهرين. أما اليونانيون فقد

استخدموا الريشة في القرن الثالث ق م إرميا ٨ : ٨.

د- الحبر: وكان يصنع من الفحم والصمغ والماء.

ثانياً: شروط وطقوس كتابة المخطوطات:

قال السير فريدريك كنيون: «يمكن للمسيحي أن يمسك بالكتاب المقدس كله في يده، ويقول بغير خوف أو تردد إنَّه يمسك بكلمة الله الحقيقية التي سُلِّمت عبر القرون من جيلٍ إلى جيل بدون أن يُفقَد أي شئ من قيمتها» وندرك قيمة شهادة هذا العالِم إذا عرفنا أنَّه من أكبر علماء المخطوطات المعروفين في العالم، وكان مديراً للمتحف البريطاني. وتظهر صحة مخطوطات العهد القديم، لو عرفنا الاهتمام الزائد بنقل المخطوطات، والذي يتضح من الخطوات التي كان اليهود يتبعونها في كتابتها بحسب أوامر التلمود:[٦]

١ - الدرج المستعمل للقراءة يجب أن يكون مكتوباً على جلد حيوان طاهر.

٢ - يجب أن يجهزه يهودي لاستعماله في المجمع.

٣ - تجمع الرقوق معاً بسيور مأخوذة من حيوان طاهر.

٤ - يجب أن يحتوي كل رق على عدد ثابت من الأعمدة في كل مخطوطة.

٥ - يجب أن يتراوح طول كل عمود ما بين ٤٨ - ٦٠ سطراً، وعرض العمود يحتوي على ٣٠ حرفاً.

٦ - يجب أن تكون الكتابة على السطر، ولو كُتِبَت ثلاث كلمات على غير السطر تُرفَض المخطوطة كلها.

٧ - يجب أن يكون حبر الكتابة أسود، لا أحمر ولا أخضر ولا أي لون

٦ د. داود رياض إرسانيوس «التوراة والإنجيل كلمة الله المعصومة»

آخر، ويتم تجهيزه طبق وصفة ثابتة.

٨ - يتم النقل بكل دقة من مخطوطة صحيحة تماماً.

٩ - لا يجب كتابة كلمة أو حرف أو نقطة من الذاكرة. يجب أن ينقل الكاتب كل شئ من المخطوطة النموذجية.

١٠ - يجب ترك مسافة شعرة أو خيط بين كل حرفين.

١١ - يجب ترك مسافة تسع حروف بين كل فقرتين.

١٢ - يجب ترك مسافة ثلاث سطور بين كل سفرين.

١٣ - يجب إنهاء سفر موسى الخامس بانتهاء سطر. ولا داعي لمراعاة ذلك مع بقية الأسفار.

١٤ - يجب أن يلبس الناسخ ملابس يهودية كاملة.

١٥ - يجب أن يغسل جسده كله قبل الشروع في الكتابة.

١٦ - لابد من كتابة اسم الجلالة بقلم مغموس في الحبر حديثاً.

١٧ - لو أن مَلِكاً خاطب الناسخ وهو يكتب اسم الجلالة فلا يجب أن يعيره أي اعتبار.

وكل مخطوطة لا تتبع هذه التعليمات تُدفن في الأرض أو تُحرق أو تُرسل للمدارس لتُقرَأ فيها ككتب مطالعة، ولا تُستعمل في المجامع ككتب مقدَّسة.

ويقول السير فريدريك إنَّهم أحصوا عدد الآيات والكلمات والحروف في كل سفر! كما حددوا الحروف الوسطى والكلمات الوسطى في كل سفر، وعرفوا الآيات التي تحتوي كلماتها على كل حروف الأبجدية أو عدد معين منها. ومع أن هذه الإحصاءات تافهة في نظرنا اليوم بعد تقدم علم الإحصاء والكمبيوتر بوسائل البحث وعد المفردات والحروف، إلَّا أنها دليلٌ قوي على احترامهم للأسفار المقدَّسة، واهتمامهم البالغ بعدم

سقوط حرف أو نقطة من النصوص المقدَّسة. ولهذا يستحقون كل ثناء وتقدير منَّا اليوم.

ثالثاً - أشكال الكتب القديمة:

أ- الدرج الذي يصنعونه من لصق صفحات من ورق البردي ببعضها ثم يطوونها على خشبة أو عصا. وكانوا يكتبون على جانب واحد من الورق. وكانوا أحياناً يكتبون على جانبي الورق (رؤيا ٥: ١). وكانت الأطوال تختلف. فقد وجد درج طوله ١٤٤ قدماً. ولكن متوسط الطول كان من ٣٥-٢٠ قدماً. وقد قال كاليماخوس أمين مكتبة الإسكندرية إن الكتاب الكبير مجلبة للتعب.

ب- الكتاب - لتسهيل القراءة كانوا يضعون أوراق البردي على بعضها ويكتبون عليها من الجهتين. وقد قال جرينلي أن المسيحية كانت الدافع الأساسي لتطوير شكل الكتاب إلى الشكل الذي نراه اليوم. وقد ظل المؤلفون يكتبون على الدرج حتى القرن الثالث الميلادي.

رابعاً - أنواع الكتابة:

أ- الكتابة المنفصلة وفيها تكتب الحروف الكبيرة منفصلة عن بعضها. ومخطوطتا الكتاب المقدَّس المعروفتان بالفاتيكانية والسينائية من هذا النوع.

ب- الكتابة المشبّكة التي تكتب فيها الحروف صغيرة مترابطة. وقد بدأ استعمال الحروف المشبّكة في القرن التاسع الميلادي.

وقد كتبت المخطوطات العبرية واليونانية بدون فواصل بين الكلمات كما أن التشكيل في العبرية بدأ في القرن التاسع الميلادي. ولم يخلق هذا صعوبة بالنسبة للكتابة اليونانية، لأنها تنتهي عادة بحروف خاصة

معروفة بالدفثنج. كما أن الناس كانوا معتادين على قراءة هذا النوع من الكتابة، وكانوا يقرأونه عادة بصوت عال حتى لو كانوا منفردين!

خامساً - أقسام الكتاب المقدس:

الأسفار: سيأتي الكلام عنها لاحقاً

أ- الأصحاحات: جرى أول تقسيم للأسفار الخمسة الأولى عام ٥٨٦ ق م، إذ قسمت إلى ١٥٤ جزءاً لتسهيل قراءتها مرة كل ثلاث سنوات. وبعد ذلك بخمسين سنة قسمت إلى ٥٤ قسماً، كل قسم منها قسم إلى ٦٦٩ جزءاً لتسهيل الرجوع إلى الآيات.

أما اليونانيون فقد قسموا الكتاب إلى أجزاء عام ٢٥٠ م. وكانت أول محاولة لتقسيم الاسفار إلى أصحاحات عام ٣٥٠ م. على هامش النسخة الڤاتيكانية، ولم تتغير هذه الاقسام حتى القرن الثالث عشر، عندما قسم الاسفار إلى أصحاحاتها المعروفة حالياً ستيفن لانجتن الاستاذ بجامعة باريس الذي أصبح فيما بعد رئيس أساقفة كنتربري.

ب- الأعداد: أول تقسيم مقبول في العالم كله حدث عام ٩٠٠ م تقريباً. وكانت الترجمة اللاتينية المعروفة بالڤولجاتا أول مخطوطة يتم فيها التقسيم إلى أصحاحات وإلى أعداد في العهدين القديم والجديد.

الأسفار القانونية

الأسفار القانونية هي الكتب التي نستقي منها قوانين إيماننا على حَدِّ تعريف العلَّامة أوريجانوس وهي الأسفار التي قبلتها الكنيسة كالكتب الموحى بها من الله. وقانونية الأسفار لم تقررها الكنيسة ولكنها قبلتها واعترفت بها، لأن الله هو الذي أوحى بها وأعطاها.

أولا- مقياس قانونية السفر:

كانت هناك خمسة مقاييس لتقرير قبول أي سِفر، وهي:

١ - هل بالسفر سلطان؟ هل جاء من الله وهل حوى عبارة هكذا قال الرب؟

٢ - هل السفر نبوي؟ كَتَبَهُ أحد رجال الله؟

٣ - هل السفر موثوق به؟ قال الآباء: «لو خامرك الشك في سفر فالقهِ جانباً»

٤ - هل السفر قوي؟ هل فيه قوَّة إلهية قادرة على تغيير الحياة؟

٥ - هل قَبِلَ رجال الله السفر وجمعوه وقرأوه واستعملوه؟ مثلاً: اعترف بطرس بكتابات الرسول بولس باعتبارها مساوية لكتابات العهد القديم ٢بطرس ٣: ١٥، ١٦

ثانياً - قانونية العهد القديم:

انتهى نظام تقديم الذبائح اليهودية بتدمير الهيكل عام ٧٠م وتشتت اليهود، فأصبحوا في حاجة إلى تحديد الأسفار الموحى بها من الله لكثرة

الكتب التي كانت بين أيديهم، وهكذا صار اليهود أهل الكتاب الواحد الذي يجمعهم جميعاً.

وبدأت المسيحية تزدهر وتنتشر، فانتشرت معها كتابات مسيحية مختلفة أراد اليهود أن يستبعدوها من القراءة في مجامعهم. ولذلك قسَّم اليهود كتبهم إلى الأقسام التالية:

الشريعة . التوراة

١ - التكوين

٢ - الخروج

٣ - اللاويين

٤ - العدد

٥ - التثنية

الانبياء النبيئيم

(أ) الانبياء الأولون

١ - يشوع

٢ - قضاة

٣ - صموئيل

٤ - الملوك

ب- الأنبياء المتأخرون

١ - إشعياء

٢ - إرمياء

٣ - حزقيال

٤ - الاثنى عشر

الكتب (الكتوبيم)

أ- الكتابات الشعرية

١ - المزامير

٢ - الأمثال

٣ - أيوب

ب- المخطوطات الخمس

١ - نشيد الأنشاد

٢ - راعوث

٣ - المراثي

٤ - أستير

٥ - الجامعة

ج- الكتب التاريخية

١ - دانيال

٢ - عزرا – نحميا

٣ - أخبار أيام

ومع أن هذه الأسفار هي بعينها التي لدى المسيحيين، إلا أن عدد الأسفار يختلف، فقد قسموا كلاً من صموئيل والملوك وأخبار الأيام إلى

قسمين: كما أن اليهود يعتبرون الأنبياء الصغار سفراً واحداً. وترتيب الأسفار يختلف، فإن المسيحيين يقسمون الأسفار تقسيماً موضوعياً.

ثالثاً - قانونية أسفار العهد الجديد:

١ - الأساس الذي بُني عليه قبول أسفار العهد الجديد كأسفار قانونية هو أنها من الرسل، وموحى بها من الله.

لقد تأسست الكنيسة على أَسَاسِ الرُّسُلِ والأَنْبِيَاءِ (أفسس ٢: ٢٠) الذين وعد المسيح بإرشادهم إلى جميع الحق بالروح القدس (يوحنا ١٦: ١٣) وقد واظبت كنيسة أورشليم على تعليم الرسل (أعمال ٢: ٤٢). وليس شرطاً أن يكون كتّاب الأسفار رسلاً، لكن أن تكون هذه الأسفار قد حظيت بموافقة الرسل. وسلطان الرسل لا يمكن فصله عن سلطان الرب، فإن الرسائل ترينا أن بالكنيسة سلطاناً واحداً مطلقاً هو سلطان الرب، وعندما يتحدث الرسل بسلطان يستمدونه من الرب نفسه. مثلاً عندما يدافع بولس عن دعوته الرسولية يقول إنه تلقاها مباشرة من الرب (غلاطية ١،٢). وعندما ينظم شؤن الكنيسة يعزو ذلك للرب، رغم عدم وجود توجيهات مباشرة (١كورنثوس ١٤: ٣٧). (١كورنثوس ٧: ١٠). فكل سلطان يجب أن يكون نابعاً من الرب وحده صاحب السلطان المطلق.

٢ - ثلاثة أسباب استلزمت تقرير الأسفار القانونية للعهد الجديد:

أ- هرطقة ماركيون ١٤٠م الذي كوَّن أسفاره القانونية وأخذ ينشرها، فرأت الكنيسة الحاجة إلى تحديد الأسفار القانونية لأنهاء تأثيره.

ب- استخدمت بعض الكنائس كتابات إضافية في العبادة، فلزم وضع حد لهذا.

ج- قرر دقلديانوس عام ٣٠٣م أن يدمِّر الكتب المقدَّسة للمسيحيين

فعزم المسيحيون أن يعرفوا أي الكتب تستحق أن يموتوا لأجلها!

٣ - ويقدم لنا القديس أثناسيوس الإسكندري . عام ٣٦٧م أول قائمة للأسفار القانونية للعهد الجديد، في رسالته للكنائس بمناسبة عيد الفصح وهي نفس القائمة التي عندنا تماماً وبعد ذلك قدم كل من القديسين أيرونيموس وأغسطينوس ذات القائمة التي تحوي أسماء ٢٧ سفراً.

واقتبس الآباء من العهدين القديم والجديد قائلين كما جاء في الكتب مثلما قال بوليكاربوس ١١٥م وأكليمندس وغيرهما.

أما جستن مارتر فقد قال في دفاعه عن المسيحية، وهو يكتب عن العشاء الرباني: «في يوم الأحد يجتمع المسيحيون الساكنون بالمدينة أو القرى، في مكان واحد، يقرأون مذكرات الرسل وكتابات الأنبياء، حسب ما يسمح به الوقت. وعندما يتوقف القارئ يقدم القائد نصائح يدعو فيها إلى تطبيق هذه الكلمات الصالحة». ويضيف جستن مارتر في مناقشته مع تريفو اقتباساً من الأناجيل يسبقها بقوله «مكتوب». ولا بد أنه وتريفو كانا يعرفان المقصود بكلمة «مكتوب» هذه.

٤ - ونشير إلى كتابات القديس أيريناوس ١٨٠م الذي كان متصلاً بالعصر الرسولي وبمعاصريه الكنسيّين في كل العالم، وكان قد تعلم في آسيا الصغرى عند قدمي بوليكاريوس تلميذ يوحنا البشير، ثم صار أسقفاً لليون في بلاد الغال فرنسا عام ١٨٠م. وتظهر كتابات أيريناوس إيمانه بقانونية الأناجيل الأربعة والأعمال ورومية ورسالتي كورنثوس وغلاطية وأفسس وفيلبي وكولوسي ورسالتي تسالونيكي ورسالتي تيموثاوس وتيطس وبطرس الأولى ويوحنا الأولى والرؤيا. ويتضح من كتابه ضد الهرطقات أن فكرة الأناجيل الأربعة كانت حقيقية ثابتة معروفة ومقبولة في كل العالم المسيحي ومعتبرة أمراً طبيعياً بل ولازماً مثلها في ذلك مثل

الجهات الأصلية الأربع.

٥ - وقد قبلت المجامع الكنسية قانونية أسفار العهد الجديد. وعندما انعقد مجمع هبّو عام ٣٩٣م وسجَّل أسفار العهد الجديد السبعة والعشرين كأسفار قانونية، لم يعط هذه الأسفار سلطاناً لم يكن لها من قبل، ولكنه اعترف بقانونيتها التي معترفاً بها. وقد أعاد مجمع قرطجنة الثالث إذاعة قرار مجمع هبو بعد أربع سنوات، ولم يعد هناك أي تساؤل حول صحة قانونية أسفار العهد الجديد.

٦ - أسفار أبوكريفا في العهد الجديد:

- رسالة برنابا الزائفة ٧٠-٧٩ م.
- الرسالة إلى أهل كورنثوس ٩٦ م.
- رسالة أكليمندس الثانية ١٢٠-١٤٠ م.
- راعي هرماس ١١٥-١٤٠ م.
- تعاليم الأثني عشر ١٠٠-١٢٠ م.
- رؤيا بطرس ١٥٠ م.
- أعمال بولس وتكلا ١٧٠ م.
- الرسالة إلى أهل لاودكية القرن الرابع الميلادي.
- الإنجيل للعبرانيين ٦٥-١٠٠ م.
- رسالة بوليكاريوس لأهل فيلبي ١٠٨ م.
- رسائل أغناطيوس السبع ١٠٠ م.

وكتابات أخرى لم تقبلها الكنيسة كأسفار قانونية.

الأبوكريفا

أي الأسفار غير القانونية

كتب الأبوكريفا هي الكتب المشكوك في صحة نسبتها إلى من تُعزى إليهم من الأنبياء، قد حكم بالوحي بها المجمع التريدنتيني البابوي الملتئم سنة ١٥٤٥م أي قبل وقتنا الحاضر بنحو ٤٦٥ سنة. وبما أنهُ يوجد أدلَّة بيّنةٌ على أنها ليست من الأسفار المُوحَي بها وجدنا الآن أنهُ يناسب موضوع كتابنا هذا أن نتكلم عنها قليلاً.

أما أسماءُ هذه الكتب المشار إليها فهي سفر طوبيا، ويهوديت، وعزراس الأول والثاني، وتتمَّة أستير، ورسالة إرميا، ويشوع بن سيراخ، وباروخ، وحكمة سليمان، وصلاة عزريا، وتسبحة الثلاثة فتية، وقصة سوسنة والشيخين، وبل والتنين، وصلاة منسى، وكتابا المكابيين الأول والثاني.

ومع أن هذه الأسفار كانت ضمن الترجمة السبعينية للعهد القديم، إلا أن علماء بني إسرائيل لم يضعوها ضمن الكتب القانونية. وبما أن بني إسرائيل هم حفظة الكتب الإلهية، وعنهم أخذ الجميع، فكلامهم في مثل هذه القضية هو المعوّل عليه. وقد رفضوا هذه الكتب في مجمع جامينا (٩٠م) لأنها غير موحى بها، للأسباب الآتية:

(١) **إن لغتها ليست العبرية** التي هي لغة أنبياء بني إسرائيل ولغة الكتب المنزلة، وقد تأكدوا أن بعض بني إسرائيل كتب هذه الكتب باللغة اليونانية.

(٢) **لم تظهر هذه الكتب إلَّا بعد زمن انقطاع الأنبياء**، فأجمع أئمة

بني إسرائيل على أن آخر أنبيائهم هو ملاخي. وورد في كتاب الحكمة أنه من كتابة سليمان. ولكن هذا غير صحيح، لأن الكاتب يستشهد ببعض أقوال النبي إشعياء وإرميا، وهما بعد سليمان بمدة طويلة، فلا بد أن هذه الكتابة تمَّت بعد القرن السادس ق م. ويصف «كتاب الحكمة» بني إسرائيل بأنهم أذلاء مع أنهم كانوا في عصر سليمان في غاية العز والمجد.

(٣) لم يذكر أي كتاب منها أنها وحي، بل قال كاتب المكابيين الثاني **(١٥ : ٤٠-٣٦)** في نهاية سفره: «فإن كنت قد أحسنتُ التأليف وأصبتُ الغرض، فذلك ما كنتُ أتمنّى. وإن كان قد لحقني الوهَن والتقصير فإني قد بذلت وُسعي. ثم كما أن شرب الخمر وحدها أو شرب الماء وحده مضرٌّ، وإنما تطيب الخمر ممزوجة بالماء وتُعقب لذة وطرباً، كذلك تنميق الكلام على هذا الأسلوب يطرب مسامع مطالعي التأليف». ولو كان سفر المكابيين الثاني وحياً ما قال إن التقصير ربما لحقه!

(٤) في أسفار الأبوكريفا أخطاء عقائدية، فيبدأ سفر طوبيا قصته بأن طوبيا صاحَب في رحلته ملاكاً اسمه روفائيل، ومعهما كلب، وذكر خرافات مثل قوله إنك إن أحرقت كبد الحوت ينهزم الشيطان (طوبيا ٦ : ١٩). ونادى بتعاليم غريبة منها أن الصَّدقة تنجي من الموت وتمحو الخطايا (طوبيا ٤ : ١١، ١٢ : ٩)، وأباح الطلعة (الخروج لزيارة القبور) وهي عادة وثنية الأصل، وهي أمور تخالف ما جاء في أسفار الكتاب المقدس القانونية. وجاء في ٢مكابيين ١٢ : ٤٦-٤٣ أن يهوذا المكابي جمع تقدمة مقدارها ألفا درهم من الفضة أرسلها إلى أورشليم ليقدَّم بها ذبيحة عن الخطية «وكان ذلك من أحسن الصنيع وأتقاه، لاعتقاده قيامة الموتى.. وهو رأي مقدس تقَوي، ولهذا قدَّم الكفارة عن الموتى ليُحَلّوا من الخطية». مع أن الأسفار القانونية تعلِّم بعكس هذا.

(٥) في أسفار الأبوكريفا أخطاء تاريخية، منها أن نبو بلاسر دمَّر

نينوى (طوبيا ١٤ :٦) مع أن الذي دمرها هو نبوخذنصر، وقال إن سبط نفتالي سُبي وقت تغلث فلاسر في القرن الثامن ق م، بينما يقول التاريخ إن السبي حدث في القرن التاسع ق م، وقت شلمنأصر. وقال طوبيا إن سنحاريب ملك مكان أبيه شلمنأصر (طوبيا ١٨ :١) مع أن والد سنحاريب هو سرجون. وجاء في يشوع بن سيراخ ٤٩ : ١٨ أن عظام يوسف بن يعقوب «افتُقدت، وبعد موته تنبأت».

(٦) **لم يعتبر بنو إسرائيل هذه الكتب مُنزلة،** ولم يستشهد بها المسيح المذخَّر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم (كولوسي ٢ : ٣). ولا اقتبس منها تلاميذ المسيح، ولم يذكرها فيلو ولا يوسيفوس. مع أن المؤرخ يوسيفوس ذكر في تاريخه أسماء كتب بني إسرائيل المنزلة، وأوضح تعلّق بني إسرائيل بها، وأنه يهُون على كل يهودي أن يفديها بروحه.

لا يخفي أنهُ يوجد اتحاد جوهري بين العهدين القديم والجديد وإيضاحاً لذلك نقول. أنهُ يوجد في العهد الجديد أقل ما يكون ٢٥٠ اقتباسات صريحة من العهد القديم ٣٤٨ من الشواهد والإشارات إلى حقائق وحوادث وأشخاص مذكورة في العهد القديم ما خلا النبوات الكثيرة العدد التي فيهِ المذكور إتمامها في العهد الجديد. ومن هذه المراجعات والشواهد والإشارات ٢٣٧ من أسفار موسى الخمسة التي هي القسم الأول عند اليهود كما سبق آنفاً. و٢١٣ من كتب الأنبياء التي هي القسم الثاني. و١٠٣ من المزامير أو القسم الثالث. ومع ذلك لا يوجد اقتباسه أو مراجعة واحدةٌ من جميع أسفار الأبوكريفا ولا أدني إشارةٍ إلى أمرٍ ما فيها. ولا شك في أن هذا برهانٌ قاطعٌ على أنها ليست بقانونية. لأن المسيح بهذه الاقتباسات قد ختم على صحة الأسفار المقدسة العبرانية وأخرج الأبوكريفا.

(٧) **سار الآباء المسيحيون الأولون (ما عدا قليلون منهم) على نهج**

علماء بني إسرائيل في نظرتهم إلى هذه الأسفار. ومع أنهم اقتبسوا بعض الأقوال الواردة فيها إلا أنهم لم يضعوها في نفس منزلة الكتب القانونية. وعندما قررت مجامع الكنيسة الأولى الكتب التي تدخل ضمن الكتب القانونية اعتبرت هذه الكتب إضافية أو غير قانونية، فلم يذكرها مليتو أسقف ساردس (في القرن الثاني المسيحي) من الكتب المقدسة، ولم يذكرها أوريجانوس الذي نبغ في القرن الثاني، ولا أثناسيوس ولا هيلاريوس ولا كيرلس أسقف أورشليم، ولا أبيفانيوس، ولا إيرونيموس (جيروم)، ولا روفينوس، ولا غيرهم من أئمة الدين الأعلام الذين نبغوا في القرن الرابع. وقد أصدر المجمع الديني الذي اجتمع في لاودكية في القرن الرابع جدولاً بأسماء الكتب المقدسة الواجب التمسك بها، دون أن يذكر هذه الكتب. ويرجع الكاثوليك إلى قرارات هذا المجمع. ولكن لما كانت هذه الكتب موجودة ضمن أسفار العهد القديم في الترجمات السبعينية واللاتينية، فقد أقرّ مجمع ترنت في القرن السادس عشر اعتبارها قانونية، فوُضعت ضمن التوراة الكاثوليكية، على أنها كتب قانونية ثانوية.. علماً بأن إيرونيموس (جيروم) مترجم «الفولجاتا» (من اليونانية إلى اللاتينية) وضع تلك الأسفار بعد نبوَّة ملاخي، فأُطلق عليها في ما بعد «أسفار ما بين العهدين». وهذه أمثلة من آباء الكنيسة الأولى:

يوستينوس الشهيد الذي هو من أشهر معلمي المسيحيين في الجيل الثاني وهو لم يورد آيةً واحدةً في كل تأليفهِ من أحد أسفار الأبوكريفا.

ميليتو الذي عاش في أواخر الجيل الثاني. وهو من أقدم الأساقفة في كنيسة ساردس أحدي الكنائس السبع المذكورة في سفر الرؤْيا ص ١ وص ٣. وكان مؤَلّفاً شهيراً وكلامهُ ذا تأثيرٍ في المسيحيين الأولين وهو يعطينا جدول أسماءِ الأسفار المقدسة وهذا هو الجدول الذي وصل إلينا من الكَتَبَة المسيحيين بعد أيام الرسل وهو لا يذكر شيئاً من كتب

الأبوكريفا. وجدولهُ يتَّفق تماماً مع الجدول الذي أوردناهُ آنفاً من قول يوسيفوس سوى أنهُ كما يبان قد ضمَّ عزرا ونحميا واستير في كتابٍ واحدٍ.

أوريجانوس الذي كان بعد المسيح بنحو مائتي سنة وقد اشتهر جدّاً في معرفة الكتاب المقدس. وهو يقول لا يسوغ أن نجهل ان الكتب القانونية هي ذات الكتب التي سلَّمنا إياها العبرانيون وعددها يوافق عدد أحرف الهجاء في اللغة العبرانية. ثم يورد أسماءَ هذه الكتب على الترتيب في اليونانيّ والعبرانيّ وهي طبق الجدول المذكور آنفاً.

أثناسيوس الذي عاش في أوائل الجيل الرابع بعد المسيح وكان محسوباً من أشهر الآباء. وهو يقول إن أسفار العهد القديم هي اثنان وعشرون سفراً بحسب عدد أحرف الهجاءِ عند العبرانيين. ثم يقول لهم أنهُ ما خلا هذه يوجد كتب أخرى ولكنها لا تُعدُّ قانونيَّةً ثم يورد من هذه الأخيرة أسماءَ أكثر كتب الأبوكريفا.

غريغوريوس النرينزي الذي كان أسقفاً على القسطنطينية قرب ختام الجيل الرابع. وهو كان يحثُّ شعبهُ على درس الكتب المقدسة بالتمعُّن وأن يجتنبوا كل كتاب غير قانوني وبذكر أسماءَ أسفار العهد القديم ويقسمها إلى اثنين وعشرين كتاباً بحسب ترتيب اليهود.

كيرلس الأورشليمي الذي كان معاصراً لغريغوريوس المذكور آنفاً. وهو ينهي تلاميذهُ عن قراءَة أيّ كتابً غير قانوني ويحثهم على درس الأسفار المقدسة ويذكر أسفار العهد القديم الاثنين والعشرين.

يوحنا الذهب الذي أشتهر كثيراً في معرفة الكتب المقدس وهو يصرّح بأن كل أسفار العهد القديم الموحَي بها قد كُتِبت أصلاً باللغة العبرانية وأنهُ لم تُقبَل كتبٌ أخرى غيرها.

ارونيموس الذي ترجم الكتاب المقدس في بداية الجيل الخامس

إلى اللغة اللاتينيَّة وقُبِلَت ترجمتهُ عند عامة الكنيسة البابوية وهي المعروفة عند الجميع بالدارجة. وهو يذكر في مقدمتهِ لهذه الترجمة الكتب التي ترجمها من العبرانيَّة إلى اللاتينيّة (وهي طبق جدول يوسيفوس) ويقول أن جميع الكتب غير هذه يجب أن تُحسَب غير قانونية.

(٨) هذه الكتب منافية لروح الوحي الإلهي، فقد ذُكر في حكمة ابن سيراخ تناسخ الأرواح، والتبرير بالأعمال، وجواز الانتحار والتشجيع عليه، وجواز الكذب (يهوديت ٩ : ١٠، ١٣). ونجد الصلاة لأجل الموتى في ٢مكابيين ١٢ : ٤٥، ٤٦ وهذا يناقض ما جاء في لوقا ١٦ : ٢٥، ٢٦ وعبرانيين ٩ : ٢٧.

(٩) **قال الأب متى المسكين**، في كتابه «الحُكم الألفي» (ط ١٩٩٧، ص٣): «كتب الأبوكريفا العبرية المزيَّفة، التي جمعها وألَّفها أشخاص كانوا حقاً ضالعين في المعرفة، ولكن لم يكونوا «مسوقين من الروح القدس»، (٢بطرس ١ : ٢١) مثل كتب: رؤيا عزرا الثاني وأخنوخ، ورؤيا باروخ وموسى وغيرها». ثم قال في هامش الصفحة نفسها: «تُسمَّى هذه الكتب بالأبوكريفا المزيَّفة، وهي من وضع القرن الثاني قبل المسيح، وفيها تعاليم صحيحة وتعاليم خاطئة وبعض الضلالات الخطيرة مختلطة بعضها ببعض. ولكنها ذات منفعة تاريخية كوثائق للدراسة».

إن الأفضل بين كتب الأبوكريفا هو سفر يشوع بن سيراخ الذي يمكن أن يستفاد من قراءَتهِ كيفية تفسير اليهود لشريعتهم. وكذلك سفر المكابيين الأول الذي يتضمن تاريخ نجاة اليهود من استعبادهم لملوك سورية قبل المسيح بنحو جيلين. وهو يحتوي أيضاً على نماذج كثيرة في أمر الشجاعة بالإيمان ويسوغ أن يُقرَأ برغبةٍ كسائر التواريخ الصحيحة ولكن ليس كأنهُ مكتوبٌ بالوحي.

وبما أن بني إسرائيل الذين أؤتُمنوا على الكتب الإلهية «**أَمَّا أَوَّلاً**

فَلأَنَّهُمُ ٱسْتُؤْمِنُوا عَلَى أَقْوَالِ ٱللهِ» (رومية ٣: ٢)، هم الحكَم الفصل في موضوع قانونية الأسفار المقدسة، وقد أجمع أئمتهم في العصور القديمة والمتأخرة على أنه لم يظهر بينهم نبي كتب هذه الكتب، فإنه من المؤكد أن أحد اليهود المقيمين في الشتات وضعها. ولو كانت معروفة عند بني إسرائيل لوُجد لها أثر في كتاب التلمود. أما الكتب المقدسة القانونية فهي مؤيَّدة بالروح القدس وبالآيات الباهرة. فالأنبياء الكرام وتلاميذ المسيح أيّدوا رسالتهم وتعاليمهم بالمعجزات الباهرة التي أسكتت من تصدّى لهم، فتأكد الجميع حتى المعارضون أن أقوالهم هي وحي إلهي، فقبلوا كتبهم بالاحترام الديني والتبجيل، وتمسكوا بها واتخذوها دستوراً، ولم يحصل أدنى خلاف بين أعضاء مجمع نيقية على صحة الكتب المقدسة لأنها في غنى عن ذلك

نتيجة ما تقدم

ومما تقدم ذكره في هذا الجزء يتضح لنا بأجلى بيان أن الكتاب المقدَّس الذي بين أيدينا الآن صادق في كلمته ومعصوم من شبهة التحريف، والذين اتَّهموه بهذه التهمة الجزافية الباطلة شغلوا أنفسهم عن البحث في تاريخ كتابهم وتاريخ جمعه وعدد مخطوطاته والفجوة الزمنية بين كل مخطوطة وتاريخ كتابهم الأصلي!

ونحن نتحدى إن كان في إمكان أي باحث أن يخضع كتابه لكافة النقاط التالية كما فعلنا بكتابنا المقدَّس فيتضح له شموخ كتابه كما اتضح لنا:

١ - صدق نسبته.

٢ - شهادة أعداء الديانة المسيحية له.

٣ - شهادة الرُّسُل أجمعين.

٤ - شهادة مؤلفي القرون الأربعة الأولى.

٥ - الأدلة الداخلية إلى إشارات وأحداث وعادات وتقاليد واصطلاحات كانت جارية وقت كتابته.

٦ - شهادة التاريخ العالمي القديم وتقاليد عديدة باقية إلى يومنا هذا (التواتر).

٧ - وحدة المعنى مع التقدم في إيضاح المضمون.

٨ - اتِّفاق الكتبة على كثرة عددهم واختلاف أزمنتهم وبيئة ثقافتهم، والمطابقة غير المقصودة في كتاباتهم.

٩ - ما يتضمنه من التعاليم الروحية السامية.

١٠ - النجاح العظيم المرافق لانتشاره.

١١ - نتائجه الروحية نظير أي كتاب ديني آخر!

١٢ - عدد مخطوطاته ومطابقته جميعاً.

١٣ - أدلة عصمته وعددها.

١٤ - صدق نبوَّاته (انظر الجزء الثالث من هذه السلسلة).

١٥ - المعجزات التي رافقت مولد المسيح.

شواهد الكتاب المقدس

التكوين

المزامير

رومية

كورنثوس الثانية

تيموثاوس الأولى

مسرد

ا

ب

ت